

الانطباعية في السينما

جاءت الانطباعية وهي احد الاتجاهات السينمائية من اجل البحث عن نمط جديد تتجاوز به ما هو سائد ليتلاءم مع طبيعة الحياة الجديدة والتغيرات التي يشهدها الواقع ، فهوية الانطباعيين لا يمكن ردها الى سبب رئيسي اهم من انهيار الاوضاع الاجتماعية والقيم التي تمثلها، ومحاولة الهروب منها .

ويعد جورج ميلييه اول من اختط سبيل الانطباعية بأفلامه التي تعتمد الاحداث الخيالية والحيل السينمائية وهو بذلك يشوه الحقائق ولا ينقلها كما هي بل يعمد الى جعلها مخالفة للواقع فكانت بذلك المنطلقات الاولى للانطباعية في السينما.

وتميل الانطباعية الى توكيد الشكل الذي يعد اكثر ارتباطا بها من المحتوى الذي تؤكد الواقعية، لذا فان الحس بجمال الشكل يتعاضم كلما ضعف الاحساس الطبيعي بالواقع، فتركيز الانطباعيين على الشكل وارتباطاته جعل قيمة العمل الفني تكمن في التنظيم الشكلي، حتى ان (كلايف بل) وهو احد من ابرز مفكري الانطباعية يرى انه لكي ندرك الشكل لا نحتاج الى ان نأتي معنا بشيء من الحياة، او بمعرفة افكارها وشؤونها، ولا نحتاج الى ان نعتاد انفعالاتها.... وكل ما نحتاج هو الاحساس بالشكل واللون .

ويرى المختصون ان الانطباعية تسعى الى التحرر من التقاليد الواقعية والاهتمام بالرؤية الذاتية للفنان ووجهة نظره في التعامل مع الموضوعات واعادة تشكيلها، أي الاهتمام بوجهة نظر الفنان التي لم تعد قائمة على اساس رؤية عقلية يفرضها الموضوع ذاته، بل رؤية تشترك فيها احساسيس الفنان وانطباعاته الذاتية حول

الموضوع الفني وتشكيله ، حتى ان الانطباعيين يفضلون الاماكن الداخلية والافلام ذات الشكل المغلق اذ يكون تدخل الفنان فيها واضحاً.

ويؤكد مؤرخو السينما ان الضرورات الفنية التي اسهمت في خلق اتجاهات واقعية متعددة ، اقتربت بعض سماتها وتنافرت الاخرى، غير انها جميعا تنهل من الواقع الذي يؤطرها ، هي الضرورات الفنية ذاتها التي اسهمت في خلق اتجاهات انطباعية لا تقل شأنًا عن الاتجاهات الواقعية، لكنها تجاوزت اطر الواقع، فقد كانت تواقه الى الانطلاق والانفلات والتوجه صوب اللامعقول وغرابة الموضوعات والحلم والتجريد، فشهدت تلك الاتجاهات تحولا جريئاً من الواقع الى الخيال الذي قد يصل احيانا الى حد التطرف وعدم الانضباط .

ومن اهم الاتجاهات التي انبثقت من الانطباعية هي :

اولاً : التعبيرية

ظهرت التعبيرية في ميونخ عام 1910 وكانت ذات توجه ادبي وموسيقي ومعماري وتصويري، اما ملامحها الاولى في السينما فظهرت في فلم (طالب من براغ عام 1913) وهو من اخراج (بول فيجنتز)، اما اشهر الافلام التعبيرية فهو فلم (مقصورة او عيادة الدكتور كاليجاري عام 1919 للمخرج روبرت فيني) الذي يعد النموذج الاساسي للتعبيرية الالمانية، ويعدده بعضهم بداية التعبيرية مع السينما.

لقد طغت على افلام الاتجاه التعبيري القسوة والرعب والاشباح والغموض والموت والخيال، وكانت تسعى تلك الافلام الى الابتعاد عن كل ما هو واقعي من اضاءة

وديكور وموضوعات كما لم تسلم عناوين الفلم من الغرابة والشذوذ اذا كتبت
حروفها بطريقة معوجة وملتوية .

ويتمثل عدم المؤلف في الافلام التعبيرية بتوظيف عناصر اللغة السينمائية على
غير ما هو سائد كالأشكال والديكورات الغريبة والاحجام غير الطبيعية للموجودات
والتباين الغريب في الاضاءة والظلال التي كانت ترسم على الديكورات بدلا من
تقديمها بالشكل المتعارف عليه، والافراط في استخدام المكياج، وغرابة ملابس
الممثلين والاكثار من استخدام اللقطات الكبيرة جداً.

ثانية : الطليعية

بعد الحرب العالمية ظهرت المؤشرات الاولى للاتجاه الطليعي المتمثل في السينما
الطليعية التي عثرت لنفسها في فرنسا على منظرين وحرفيين من امثال لوي ديوك
وجان ابشتاين وغيرهم، وكان هذا الاتجاه مناهضا للنزعة التعبيرية الالمانية، ساعيا
الى التحرر من الاطر السينمائية التقليدية السائدة والابتعاد عن الواقع ، فحقق بذلك
عدداً من التجارب السينمائية الجديدة حيث تتميز اعمال فناني الطليعية بالتعبير
الجريء الحر والطلاق مع ميلهم الى اتباع اساليب جديدة مبتكرة .

ومن الافلام الطليعية (البالية الميكانيكي) لفرنان ليجية و (انترأكت) لرينة كلير وهما
من الافلام التي تعتمد الحركات الراقصة للأشياء وحوائج من الحياة اليومية (كالشوك
والسكاكين والاطباق والعجلات وغيرها).

واهتم هذا الاتجاه ايضا بالصورة كونها العنصر الاساس في الفلم السينمائي ولجأ الى
دراما تعتمد على التباين الضوئي دون ان تولي التعبير العاطفي أي اهتمام ، الامر
الذي جعل السينمائيين يطلقون عليها **السينما الحلمية او السينما الصافية.**

ثالثاً : الدادائية

ان ظهور الدادائية يعبر عن موقف متشدد ضد الحضارة والتقدم ساعية الى تجاوز
القيم الاجتماعية والثقافية والاخلاقية ، فالدادائيون ضد الثقافة ولا علاقة لهم
بالأخلاق وضد الجماليات .. ان الذي كان يقيمه الدادائيون كثيرا هو العفوية شبه
الطفولية غير المقيدة .

كان سعيهم صوب اللامعقول وغير المألوف والنكته المضحكة من اجل خلق فن
جديد مرتجل بعيد عن الاسس والقواعد التقليدية وغير محكوم باشتراطات جمالية،
فهم كان ينأى عن التقنيات الفنية، ويبتعد عن القصص والروايات ولا يعتمد
التسلسل المنطقي للأحداث.

ومن اشهر افلام الدادائية فلم (بين الفصول) ، لـ رينية كلير، اذ نرى في الفلم جنازة
بالسرعة البطيئة لتأكيد الوقار والتكلف وفجأة تتدحرج عربة الكفن بسرعة ويتلو ذلك
ملاحقة سريعة الحركة ومضحكة جداً للكفن الهارب ويركض وراءه السادة
البرجوازيون المحترمون وهم يلهثون.

رابعاً : السريالية

نشأ هذا الاتجاه في عشرينات القرن الماضي وتحديدا في عام 1924 عند ظهور
البيان السريالي الذي اصدره (اندرية بريتون) وكان لفرويد واراؤه تأثير كبير في هذا

الاتجاه الذي اهتم بالأفلام والرموز الجنسية التي عدها فرويد مرآة الوجود، ومن اهم قواعد السريالية ان تتغلب سمات العقل الباطن وصبغته على سمات العقل الواعي وصبغته.... ومن اثار غلبة العقل الباطن على العقل الواعي ، التحرر من اصول المنطق والتفكير المعقد السليم .

وعلى الرغم من الشبه الذي قد يبدو في الظاهر بين الدادائية والسريالية الا انهاما يختلفان في جوانب عدة، فاذا كانت الدادائية تميل الى الغموض فالسريالية اكثر غموضا وعمقا، والنكتة المضحكة والفكاهة غير المسؤولة في افلام الدادائية تقابلها كوميديا تتجه الى الغرابة والابهار في افلام السريالية، والتمرد على الواقع عبر الفوضوية التي يتسم بها الاتجاه الاول يقابله تمرد اكثر جدية وتنظيماً في الاتجاه الثاني، اما الاهتمام بالتقنيات من قبل الدادائيين فهو اكبر مما هو عليه عند السرياليين الذي اعتمدوا على ديكورات فنطازية مقابل الاعتماد على الاشياء والموجودات البسيطة عند الدادائيين.

كما اكد الاتجاه السريالي الاحساس بالاتجاه في الميزانسين، وموقف رواده المتشدد من التحليل والتوضيح في الوقت الذي تمتاز افلام هذا الاتجاه بكثافة الرموز المستعصية على التحليل الدقيق .